

## بين الدين والاقتصاد.. كيف نختار شريك حياتنا؟

حازم حسانين محمد

باحث دكتوراه - قسم الاقتصاد - كلية التجارة بجامعة بنها - مصر

إذا كنت تعيش في زماننا هذا فإن الدين تعرض عليك بين الفينة والأخرى، وتتقلب عليك بشتى أوجهها، فتتزين لك تارة كي تشمر لها ساعدك، وتكشر لك تارة أخرى علك تهابها. وما بين هذه وتلك ترى نفسك مرة مؤمنا بها ومسلما ومنغمسا في شهواتها ومطواعا لها ولمغرياتها، وأخرى كافرا بها وعاصيا لها وراداً لملذاتها ومحاربا لشهواتها. ففي الأولى تفر أنت إليها ولا يأتيك منها إلا ما كتب لك، وفي الثانية تفر أنت منها فتلهس هي خلفك علك تجيبها وليس منك غير غض الطرف عنها، إلا أنها لازالت بك حتى تصل إليك فتهمك وتضمك لجنابها أو توقع أنت بها شر هزيمة فتوردها مهلكها وتخرج منتصرا سالما من سهامها وشرورها.

إذا فبعد هذه المقدمة كيف للقارئ أن يعرف في أي حقل يدور هذا المقال وعن ماذا؟ ولماذا؟ وقبل أن تبدأ خلجات النفس ومناطقة العقل لدى قرائنا الأعزاء في أن تسبح في بحر الإجابة عن ذلك، نختصر عليهم الطريق ونخبرهم أن هذا المقال يدور في منطقة وسط بين الاقتصاد والدين " هي منطقة الاقتصاد الإسلامي " حيث البحث عن أسس اختيار شريك الحياة بين المنطق الاقتصادي وهدى الشريعة الإسلامية الغراء "، ولعل السؤال الرئيس الذي نورده على مسامعنا جميعا، هل يمكن لنا أن نجمع بين الاقتصاد والدين في مسألة إختيار شريك الحياة؟ قطعاً نعم. وتبدأ الإجابة من كون علم الاقتصاد أحد العلوم الاجتماعية التي تبحث في قضايا ومشكلات المجتمع وكيفية استغلال الموارد المحدودة لتحقيق الغايات والحاجات غير المحدودة. وعلى ضوء وجود ندرة نسبية شاعت في الأفق في الآونة الأخيرة تحت مسمى ظاهرة " اللامسئولية في الحياة الزوجية " بات من المحتم علينا كباحثين الغوص في أعماق مثل هذه القضايا ومحاولة تفكيك جوانبها ووضع التفسيرات المناسبة لها بغية الخروج بما يمكن أن يعيدنا إلى الطريق الصحيح.

ولعل نقطة القطع وفض الإشتباك في هذا الطرح، يبدأ من الفكرة القديمة بروزا والقائمة وجودا، التي ترى أن الأسرة هي عماد المجتمع ونواته لتخريج مواطنين واعين وصالحين، ينهضون بأوطانهم وأمهم، وهي المنبع الأول لتصدير وبعث أفراد صالحين نافعين قادرين على دفعه للأمام والعكس بالعكس. فالأسرة كما يرى علماء علم نفس النمو أنها المصدر الأول للمعرفة والحدد الأول للمخزنات القيمية والسلوكية للإنسان منذ مهده حتى إنقضاء عمره، بإعتبار أن السنوات السبع الأولى للطفل يجرى على ضوءها تفسير السلوك والشخصية فيما بقى

من العمر. لذا وجب علينا أن نسال كيف تُكون الأسرة وكيف يتم إختيار أطرافها وماهي بواعث هذا الإختيار وآلياته؟ وهل الإختيار يكون قيمي ( أخلاقي ) بحث أم تتخلله جوانب اقتصادية؟ وأيها يطغى على الآخر. وأخيرا هل إختيار شريك الحياة في زمننا الحاضر يخضع لمعايير المكسب والخسارة أو العائد والنفقة أم لا؟.

جل هذه التساؤلات لا شك أن لها إجابات بعضها بديهي وبعضها الآخر معقد غاية التعقيد، ودعنا نبدأ من حيث وجب أن يكون البدء، فالإنسان أو البشري فطره الله سبحانه وتعالى في زوجين الأول الذكر الذي يحمل صفات تتلخص في مبادي القوة والمشقة والتحمل في الوقت الذي جبلت فيه الأثني على التدلل والجمال والنعومة، وسرعان ما يشعر أحدهما بالنقص والحرمان فيحن إلى ما يكمله، ويبدأ هذا من جانبين أحدهما جانب عاطفي والآخر حسي ملموس، وسرعان ما يتزوج كلاهما مع الوصول إلى منتصف العقد الثاني من العمر وما يليه من سنوات، حيث إلتقاء الجوانب الوجدانية مع الجوانب المادية الحسية، فتتعاضم الرغبة للإشباع ويشكلا معا باعنا قويا ومتزايدا يتسم بالتجدد والإستمرار، بل يجد نفسه دائما في حاجة لا نهائية لمثل هذا الإشباع. وهنا تبدأ عبر عملية تنظيمية نَظمتها الفطرة أطلق عليها " الزواج " وهو بمثابة عقد شفهي مشهود تطور مع مرور الوقت إلى عقد كتابي مشهود يقوم طرفاه بالتعاقد على أن يكونا حياة زوجية ويحيا معا حياة سوية. ولأن الزواج عملية تنظيمية إنبرت جميع الأديان السماوية لبيان مسارتها ووقفت بكل حزم لتحديد أركانها وتنظيم قيامها بما يضمن الوصول إلى الهدف الأسمى وهو السكينة والطمأنينة كما قال جلا وعلا " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ( ٢١ ) " سورة الروم. وتتضمن هذه الآية عدة أركان أهمها:

الركن الأول: السكون النفسي، وهذا الركن خاصٌ بالزوج والزوجة، وهو تعبيرٌ بليغ عن شعور الاطمئنان والأمن والراحة والصفاء.

الركن الثاني: المودة التي يظهر أثرها في التعامل والتعاون، وهو مشترك بين الزوجين، وأُسرة كلٍّ منهما.

الركن الثالث: الرحمة التي لا تكملُ للإنسان إلا بعواطف الأمومة والأبوة، ورحمتها لأولادها، فيكون لكل البشر أو الأحياء حظٌّ من هذه الرحمة الكاملة.

إذاً هذه العملية ليست عبثية أو مجرد حدث عابر يُترك ليمر مرور الكرام، بل هي وسيلة لتكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات. فإذا كان الله جل وعلا ميزه بالعقل، فقد أمدّه أيضا بالقدرة على الإختيار والتفكير فيما يساعده في تحقيق مهمته على الأرض وتحقيق العمران وتطبيق أسس ومبادئ الاستخلاف التي وكل بها. وهنا

وبفهم ملآن يمكن أن نقول أن باعث الفطرة والقدرة على الإختيار لا بد وأن يمتزجا ليكونا الباعث الأول للشروع نحو قيام هذه العملية، ويبقى للدين والاقتصاد دورهما المحوري في صياغة هذا الحدث وتنظيمه، بما يحقق الأهداف السامية له .

ولننتقل نحو إجابة السؤال الثاني في هذا المقال، هل الاختيار قيمي بحث أم يخضع لمعايير مادية (اقتصادية)، والإجابة ببساطة أنه يجمع بين كلاهما مع طغيان الجانب القيمي ( الأخلاقي ) على الجانب المادي . وعلنا نستدل بذلك من قوله صل الله عليه وسلم: " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير " رواه الترمذي . وموقفه من زواج الرجل الذي تزوج بما معه من القرآن . وإليك تفصيل القصة برواية البخاري عن سهل بن سعد : أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ لِأَهْبَ لَكَ نَفْسِي فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعَدَ النَّظْرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ ثُمَّ طَأَطَأَ رَأْسَهُ فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةَ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لِكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا فَقَالَ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا قَالَ انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، فلم يجد شيئا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شيء؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا فقال قد زوجتكها بما معك من القرآن، وفي رواية قال انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن . متفق عليه .

وفيما رواه ابن عباس أن علياً - رضي الله عنه - لما تزوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يدخل بها فمنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعطيها شيئا، فقال : يا رسول الله ليس لي شيء، فقال : أعطها درعك فأعطها درعه ثم دخل بها . لفظ أبي داود، رواه النسائي ومعلوم أن الصداق كان أربعمائة درهم وهي فضة؛ لكن المختار الجواز قبله لما روت عائشة - رضي الله عنها - قالت : أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أدخل امرأة على زوجها قبل أن يعطيها شيئا . رواه أبو داود؛ فيحمل المنع المذكور على الندب أي : ندب تقديم شيء إدخالا للمسرة عليها تألفا لقلبها .

لكن هل ما تقدم ينفي وجود أسس مادية لقيام عملية الزواج، قطعاً لا . فالأساس المادي موجود وإن كان يسيراً، ولعل وجود مكان مخصص ووجود صداق مناسب يرتضيه كلاهما، أمر حث عليه الشريعة الإسلامية . إلا أنها جملة وتفصيلاً لم تبالي بقيمة هذا المهر (الصداق) ولم تحدده، بل جعلته وفق ما يتفق عليه المجتمع، وبحسب

مقدرة من يتقدم للزواج. إلا أنه في بعض المظاهر والحوادث التي نراها اليوم يُرى عكس ذلك تماماً، فترى إما سباقاً وإما خلافاً حول قيمة الصداق عاجلة وآجله. فترى من يجعل من كريمته ثمناً لمن يدفع أكثر وترى آخر يلقيها وثالثة أُخرى تلقي بنفسها دون أن تُعمل العقل أو تتفكر في أمرها، فتَهوى كما تهوى الأبل. ولنعود ثانية للمسألة الاقتصادية، هل عوامل الندرة والحالة المادية يمكن أن تتحكم في إختيار شريك الحياة؟ في وقتنا الراهن بالطبع نعم. فكما أوردنا سابقاً، ثمة حالة عارمة في مصر تحديداً حول غلاء المهور وظاهرة العنوسة التي يقدرها البعض بما يزيد عن ١٢ مليون فتاة فوق سن الزواج، بما يعد قنبلة موقوته ستنفجر بمجرد أن ينزع فتيلها. لكن هل المغالاة في المهور هي العامل الوحيد فقط المسؤول عن هذه الظاهرة، بالطبع لا. فلا يمكن الجزم بذلك، إلا أننا نلقي بها على عاتق التنمية الاقتصادية المشهورة والأفكار المجتمعية والثقافية المغلوطة التي ترى أن الزواج غاية لا وسيلة يبذل من أجلها العمر والمال والغالي والنفيس. فيقع المرء في حالة من الإنفصام التام بين ما يجب أن يكون هدف للحياة وما يضح في سجايا فطرته، فتختلط الأهداف ويذهب العمر هباءً دون دراية في ماذا مضى ولماذا؟. وبتحليل النفقة والعائد، هل يمكن لنا أن نُعمل هذا التحليل في مسألة إختيار شريك الحياة؟ لابد لنا أولاً أن نفرق بين جانبين هما الجانب الوجداني ( العاطفي ) والثاني الجانب المادي ( المالي ). إذ أن تلك العلاقة كحدي المقص لا يمكن لأحدهما أن يتحرك دون الآخر ولا يمكن لأحدهما أن يقطع دون الآخر. فمن الناحية الدينية يوصينا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه أن نختار ذات الدين بين أربع مواصفات حددها الحديث الشريف الذي رواه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال النبي صل الله عليه وسلم " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ". ولم يكن لينسى الرجل الذي وضعت له شروطاً قيمية ومادية أيضاً بإعتباره أهل النفقة وصاحبها ومفضل بما أودعه الله فيه من صفات وبهذه النفقة فقد قال الله جل وعلا " الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ( ٣٤ ) سورة النساء .

وفي الأخير، لا يسعنا القول إلا أن نذهب أن الزواج ليس سلعة سوقية تخضع لقواعد العرض والطلب كما نرى الآن في بعض الحوادث، بل هو فطرة وفطنة القيام بها يعد إعمالاً لسنة الله في خلقه وفطرة فطر الله الناس عليها، فطوبى لمن يسر الحلال ويسر الزواج. وطوبى لمن وقف بكل حزم وقوة ضد كل محاولات العبث بعود أمتنا وساعدها " شبابها" .